عين الصحافي، خصوصاً عينه التلفزيونية، أهم بكثير من الف مؤتمر صحافي... المؤتمرات الصحافية، في معظمها، بالونات يطلقها هذا الزعيم او ذاك؛ وهي احياناً مسرح يقف فوق خشبته الممثلون... لذا، لا شيء يعدل ارض الحدث... على الأرض يشاهد الصحافيون الحقائق... حتى اولئك الذين اقفلوا عيونهم وأذهانهم وانحازوا، فإنه لا سبيل لإحداث ذلك التحوّل البطيء المنشود فيهم دون ان نضعهم في ارض الحدث ذاته.

«الصحافيون في فندق الكومودور لا مال لديهم... يمكن لنا ان نستغني عن بعض المال لهم... المال في هذه الحال ليس رشوة... لتوضع جميع إمكانيات «وفا» بتصرّف الصحافيين... التلكس والهواتف، حتى الاتصالات اللاسلكية... بين كل مئة كلمة تخرج إلى العالم تكون تسعون منها لصالحنا. لهذا هم يحاصرون حتى الكلمة... يغتالون حتى الأثير... يجب ان تخترق الكلمة الآفاق... ما ماتت يوماً كلمة حرة... صاحبها يموت وهي باقية خالدة لا تموت. كذبة واحدة صغيرة تُسقِطُ كل ما حقّقناه من إعلام خلّاق»... «أرجوكم... أرجوكم... لسنا بحاجة إلى الإثارة... هذه الحرب التي تشن ضدنا قذرة... صارخة في إثارتها حتى البشاعة».

وعندما اشتد من حول الكلمة الطوق... عندما اغلقوا من حولها المنافذ في البر والبحر والجو، وحين صادروا الأثير... حمل ماجد الكلمة... أبحر بها على متن زورق، ركب ماجد البحر من ميناء صيدا، متسلّلاً ليلاً على متن قارب، وطاف في البلدان. ومن القاهرة؛ حيث كان اجتماع وزراء الخارجية في الجامعة العربية، حتى الدول الاشتراكية، حتى اوروبا، بل وحتى تجمّعات الفلسطينيين وإن كانت في شمال ايطاليا... راح يشرح ويتحدث ويعقد المؤتمرات الصحافية. يلتقي سياسيين وقادة... يشرح يناقش يتحاور... يحتدّ احياناً لكنه لا يفقد تماسكه... ماجد كان فارساً في الحوار ايضاً، ونادراً... نادراً ما كان متجنّياً. وحين كان يعلم ذلك، كان يبادر فيعتذر او يصحح. وفي خصومته، كان فارس الفرسان. اذكر، اثناء حرب السنتين في لبنان، ماجد كان ضد الدخول السوري إلى لبنان، وقد حاول، بكل طاقته، ألا يحدث ذلك، ولكن عندما كان... كان مع قرار التصدّي... هذا امر يعرفه السوريون جيداً...، يعرفونه قراراً فلسطينياً شارك فيه ماجد بشكل اساسي ويعرفونه بشكل خاص في مؤتمر وزراء الخارجية، في جامعة الدول العربية، في القاهرة، اثناء الأحداث... ومع ذلك لا اعتقد ان احداً من المسؤولين في سوريا، في ذلك الوقت وحتى الآن... لم يبك ماجد، او على الأقل، لم يحزن لفقده... ماجد، يخاصم من اجل فلسطين ويصالح من اجل فلسطين... ولا شيء بينهما، حتى في خصوماته الشخصية... كان ايضاً مع فلسطين. لا مكان للحقد في قلبه... كان يحمي حتى الحاقدين عليه اصحاب القلوب السوداء... وكان... كان يغفر لهم، هل كان ذلك ضعفاً؟. يبدو اننا لم ندر إلا بعد وقت طويل أن ذلك كان مصدراً من مصادر قوته.

□ □ □

راحت سيارة الفولكسفاكين الصغيرة تتلوّى صعوداً في الجبل... البرودة في «ضهر البيدر» تدنّت عن الصفر، لكن الحديث المحموم كان يبعث الدفء في الأوصال. ماجد